

توظيف النظريات السوسيولوجية الغربية في البحوث الميدانية العربية**Employ Western sociological theories in Arab field research**فوزية بوشي*⁽¹⁾

جامعة ابن خلدون-تيارت، (الجزائر)

البريد الإلكتروني: fouzia.bouchi@univ-tiaret.dz

شريفة بوشي⁽²⁾

مركز التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني لولاية مستغانم، (الجزائر)

البريد الإلكتروني: psychologieclinique1@yahoo.com

تاريخ النشر: 2025/06/07

تاريخ القبول: 2025/05/24

تاريخ الإرسال: 2023/03/15

الملخص:

نركز في ورقتنا البحثية هذه على وصف واقع توظيف النظريات السوسيولوجية الغربية في البحوث الميدانية العربية من خلال قراءة نقدية لكتابات بعض السوسيولوجيين العرب الذين عالجوا أزمة السوسيولوجيا في الوطن العربي، من أهمهم عبد المعطي عبد الباسط، محمد عزت حجازي، عبد الحليم مهور باشا وآخرون. ونستعرض في ذلك الكيفية التي يتم فيها ممارسة التنظير في البحوث السوسيولوجية العربية، والعقلانية التي يعتمدونها، وكيف يوظفون النظريات السوسيولوجية الغربية في تحليل البيانات الميدانية، فضلا عن مساعي عربية لتجاوز الاعتماد على هذه النظريات الغربية. وثبت من خلال العرض أن ممارسة التفكير النظري في السياق البحثي العربي لا تتم عموما وفقا للإطار العلمي بسبب اختلاف خصوصية المجتمعين المجتمع الغربي الذي أنتج هذه النظريات والمجتمعات العربية التي يتم اختباره عليها، ما يحول دون إنتاج معرفة علمية دقيقة.

الكلمات المفتاحية: البحث السوسيولوجي العربي، النظرية السوسيولوجية الغربية، البحث الميداني.

* د. فوزية بوشي، أستاذة محاضرة "أ" بقسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون-تيارت.

Abstract :

in this paper, we focus on describing the reality of the use of western sociological theories in Arab field research through a critical reading of the writings of some Arab sociologists who have addressed the sociological crisis in the Arab world, among them Abdul Muti Abdul Basit, Mohammed Izzat Hijazi, Abdul Halim Mehur Pasha and and others. We review how the practice of theorizing Arab sociological research and the rationality that they adopt, and how they employ Western sociological theories in analysing field data, as well as Arab endeavours to overcome reliance on these Western theories.

The presentation demonstrated that the practice of theoretical thinking in the Arab research context is generally not done in accordance with the scientific framework due to the different specificities of the Western society that produced these theories and the Arab communities on which they are tested, thus preventing the production of accurate scientific knowledge.

Keywords: Arab Sociological Research, Western Sociological Theory, Field Research

مقدمة:

ارتبطت نشأة السوسيولوجيا في الوطن العربي بالاستعمار خاصة والبعثات الخارجية، عن طريق السوسيولوجيين العرب الأوائل الذين لم يكونوا سوى ممثلين للمدارس الغربية، وناقلين لتراثها النظري، ما ساهم في تكريس التبعية للسوسيولوجيا الغربية واعتماد نظرياتها في محاولة من الباحثين العرب لشرح القضايا الاجتماعية العربية وفقها، متناسين أن السوسيولوجيا هي وليدة البيئة التي أنشأتها، وهو الأمر الذي أضعف بحوثنا ذلك أنها لا تراعي الخصوصية السوسيو ثقافية للمجتمعات العربية وسياقها التاريخي.

ويعترف المشتغلين في حقل السوسيولوجيا بوجود قصور على مستوى البحث السوسيولوجي في الوطن العربي من حيث عدم قدرته على تقديم تفسير علمي اجتماعي للمشكلات التي تعاني منها المجتمعات العربية، رغم وجود إسهامات بحثية قدمها عرب من أمثال: مالك بن نبي منظر النهضة الإسلامية، سيد عويس الذي بحث في المجتمع المصري، هشام شرابي الذي لديه العديد من الأعمال عن دراسة المجتمع العربي، ونوال السعداوي التي بحثت في قضايا المرأة العربية، وعلي الوردي الذي من أهم أعماله شخصية الفرد العراقي"، المهدي المنجرة صاحب الميقاتية، فاطمة المريني وآخرون - وذلك بسبب التبعية التي يعانيها للنظريات الغربية، والتي شكلت أدوات تحليلية قابلة للتطبيق، استعان بها السوسيولوجيين العرب لتفسير قضاياهم البحثية. - ما أسهم في إضعاف السوسيولوجيا في الوطن العربي، ووقوعها في أزمة التناقض بين النظرية والتطبيق، الأمر الذي جعلها تواجه الكثير من الإخفاقات من حيث: قضايا البحوث، المناهج والنظريات التي لا تتوافق واحتياجات المجتمعات العربية، والنسق المفاهيمي، والذي أثر على علمية خطابه. وهي الأسباب التي تدفعنا لمناقشة مسألة العلاقة بين الفكر

السوسيولوجي الغربي والواقع الاجتماعي العربي، بكلام أدق كيف يوظف السوسيولوجيون العرب النظريات الغربية في العمل الميداني؟، هذا أهم تساؤل نقوم في ضوءه بصياغة عملنا الحالي.

2. كيفية ممارسة التنظير في البحث السوسيولوجي العربي:

1.2 عدم مراعاة الخصوصية السوسيوثقافية والتاريخية للمجتمعات العربية:

وهي من الأمور الهامة التي نشير إليها في هذا السياق، -إستنادا إلى نتائج بعض الأعمال البحثية في هذا المجال-، والتي قام بها متخصصين عرب أمثال: عبد المعطي عبد الباسط، محمد عزت حجازي وعبد الحليم مهور باشا و آخرون، حيث لا يوجد اتصال بين النظرية السوسيولوجية والعمل الميداني، فالباحث العربي ينطلق من منظور نظري غربي أكثر مما ينطلق من منظور اجتماعي نقدي تحليلي، وهو الأمر الذي وضحه محمد عزت حجازي بقوله: "فمن أهم ملامح الأزمة الراهنة للعلم (السوسيولوجيا)، أننا-ونحن بصدد تحليل سوسيولوجي- نعالج موضوعات البحث والدراسة كلا في عزلة عن السياق الاجتماعي والظروف التاريخية التي يظهر ويتطور وينشط فيها" (حجازي، 1989، ص26)، وتوسع على كنز في المسألة أكثر بقوله: "نظريات دخيلة من إنتاج غربي وغير معدة لتلاءم البيئة الاجتماعية المحلية، وهكذا، نرى نظريات الوظائفية والبنوية ومختلف الماركسيات الصادرة عن باريس وموسكو وفرانكفورت، والمنحى الثقافي وعلم الاجتماع البيولوجي وغيرها أيضا من التيارات الفكرية التي ظهرت على الأرض الأوروبية انطلاقا من إشكاليات لها خصوصيتها، نرى هذه النظريات قد نقلت كما هي إلى الجامعات العربية لتردد فيها بشكل آلي" (كنز، 1989، ص100).

2.2 عدم مراعاة الخصوصية الاستمولوجية للنظرية الغربية:

ما نسجله في هذا الجانب هو أن الباحثين العرب يقومون بتوظيف النظريات السوسيولوجية الغربية بدون إخضاع مقولاتها المعرفية للنقد بما يتوافق وواقع المجتمعات العربية، حيث أن صياغة العلاقة بين مقولات النظرية والعمل الميداني هو من أساسيات البحث العلمي لتفسير الظاهرة، و لإنتاج أفكار علمية صحيحة، ويلاحظ في هذا الشأن بالنسبة للبحوث السوسيولوجية العربية غياب الوعي الاستمولوجي بمسألة النظرية لدى الباحث العربي. وفي شرحه لهذه المسألة يقول عبد الباسط عبد المعطي "يسهل عليك عندما تقرأ دراسة أو بحثا أجنبيا تحديد هويته النظرية، فتقول هذا وظيفي وذاك مادي تاريخي...ولكنك عندما تقرأ دراسة عربية تغلف فكرك الدهشة ويساورك الشك في معرفة كاتبها لأبجديات البحث السوسيولوجي ودور النظرية فيه" (عبد المعطي، 1998، ص181)، ويقول في سياق مماثل (حسب بحث تحليلي قام به عام 1974 لعدد من رسائل الماجستير والدكتوراه) "...معظمها (أي الدراسات عينة بحثه) تتم بلا وعي وبلا

تدقيق، لأن الباحث أخذ مفهوما من هنا وفكرة من هناك، وقضية من نظرية وافترضنا من أخرى" (عبد المعطي، 1998، ص 181).

وهنا يجدر بنا أن نلفت النظر إلى أمرين بغاية الأهمية هما:

_ عدم إخضاع الباحث العربي النظرية الغربية التي قام بتوظيفها في بحثه للنقد بفحصه لمقولاتها المعرفية عن طريق العمل الميداني، بل يكتفي بالتكرار، ويمكننا أن نتخذ دراسة عاطف عدلي العبد ونهى عاطف العبد بعنوان "الرأي العام والفضائيات: دراسة في ترتيب الأولويات"... كمثال عن ذلك، حيث جاءت فروض الدراسة ايجابية متوافقة مع الطرح الغربي، وقد أشارت الباحثة في مصادر فروض بحثها إلى فروض النظرية بقولها "تتعلق فروض هذه الدراسة من فروض الإطار النظري" (عدلي العبد، عاطف العبد، 2007، ص 82)، وجاء العمل الميداني بتوظيف الملاحظة في الترتيب الثاني قائلة "بالإضافة إلى الملاحظة العلمية"، لذلك نستنتج أن هناك فجوة واسعة تفصل بين ما هو نظري وما هو ميداني.

_ الاكتفاء بذكرها كإجراء منهجي فقط دون استغلالها في عملية التحليل. وهي ملاحظة سجلناها على بحوث الطلبة خاصة، التي تبين من خلال قراءة لمحتواها قصورها على مستوى التنظير.

وعن أسلوب ممارسة التنظير التي يصوغها الباحثين العرب في بحوثهم، نميز استنادا إلى نتائج البحث التحليلي الذي توصل إليها عبد المعطي عبد الباسط بين 3 مجموعات من البحوث كما هو مبين في الجدول الآتي:

الجدول 1: نوع الممارسة التنظيرية في البحوث العربية

نوع الممارسة التنظيرية	البحوث
المزيج النظري	المجموعة 1
لا يوافق العمل الميداني	المجموعة 2
لا يوجد	المجموعة 3

المصدر: ينظر، عبد الباسط عبد المعطي، 1998، ص 184.

وكما يبدو من الجدول أعلاه، وبحسب نتائج البحث التحليلي الذي قام به عبد الباسط عبد المعطي، نميز بين 3 أنواع من الممارسة التنظيرية في البحوث السوسيولوجية العربية: (عبد المعطي، 1998، ص 184).

_ **المزيج النظري**: وهي أن يقوم الباحث بالاعتماد على عدد من الاتجاهات النظرية أحيانا كثيرة تكون متعارضة، كأن يلجأ قي بحثه في موضوع الالتزام التنظيمي إلى توظيف النظرية العلمية للإدارة،

النظرية الكلاسيكية، نظرية الإدارة العلمية ، نظرية التقسيم الإداري البيروقراطية وغيرها، وهذا لا يخدم البحث لأنه لا يمكن تحديد مسار البحث تحديدا موضوعيا.

_ **بحوث بأسلوب نظري غير موفق:** وهي البحوث التي لم يراعي فيها الباحثين الخصوصية المعرفية للنظرية أو النظريات المستخدمة، فلا يوجد اتصال بين النظرية والممارسة الميدانية ومعطياتها.

_ **غياب التنظير تماما:** فهناك بحوث وهي كثيرة غيبت فيها تماما النظرية، واقتصرت أصحابها على المنهج وبذلك جاءت المادة العلمية جزئية.

3. استعارة النظرية السوسيولوجية الغربية و مقاربتها مع الواقع العربي:

نظرا لغياب نظريات سوسيولوجية عربية، يلجأ الباحثون السوسيولوجيون العرب إلى النظريات الغربية مستنديين في تبريرهم المنهجي في كونها منجزات عقلية عالمية لا تنطبق فقط على الواقع الاجتماعي الغربي، بل والواقع العربي، حيث الاعتراف بالحضور الغربي في شكل معرفة ذات بعد كلي.

والملاحظ أن السوسيولوجيين العرب، وهم يستعيرون النظريات الغربية لم ينتبهوا إلى الآليات المنهجية التي أنشأتها، ولا إلى السياق السوسيوثقافي الذي ظهرت فيه هذه النظريات، فالنظرية بالنسبة لهم هي صورة من صور المعرفة الاجتماعية، خالية من أي مضمون ثقافي أو حضاري، فضلا عن ذلك فهم يتصورونها بوضعها إطارا تنظيميا، تتشكل في سياقه المفاهيم العلمية، دون أن يرون فيها شيء قابل للنقد، و كونها قابلة للاختبار فقط، ما يعني بكلام أدق أن الباحث العربي ينطلق من اعتبار النظرية السوسيولوجية الغربية مقدمة صحيحة قابلة للتعميم، تصدر عنها نتائج صحيحة، فيقيس انطلاقا من ذلك الواقع العربي من خلال مقولاتها المعرفية و المنهجية، ليصل في الأخير إلى صدق الفرضيات التي تحويها النظرية التي انطلق منها، ومثال ذلك إذا اعتمد الباحث العربي على النظرية الماركسية فإنه يؤكد في آخر بحثه مقولة الصراع الطبقي، و إذا اعتمد على النظرية البنائية الوظيفية، فإنه ينطلق من التوازن الاجتماعي على أنه هو الذي يحكم المجتمع العربي، ويؤكد في آخر بحثه ذلك، معتمدا في ذلك على مبدأ التفاضل، كأن يختار المفاهيم الأقرب إلى الواقع، والتي يرى أنها ستثبت نتائجها، ويستغنى على المفاهيم التي لا تبدو أن لها علاقة بالمجتمع العربي.

هذا ونشير أن أكثر النظريات السوسيولوجية الغربية المعتمدة في البحوث العربية هي البنائية الوظيفية والماركسية، و هو الأمر الذي أكدته جبهة السلطان (إحدى الباحثات العرب في دراستها)، والتي توصلت فيها إلى أن غالبية البحوث السوسيولوجية العربية تعتمد على النظرية الوظيفية التي تمثل النظرية السوسيولوجية الشائعة في الوطن العربي، إلى جانب نظرية المادية التاريخية، في حين تعتبر نظرية التفاعلية الرمزية والنفسية الاجتماعية والايكولوجية أقل انتشارا. (خضر. 1992. ص122).

ولكن ما هي أسباب ذلك؟

أرجع عبد الحليم مهور باشة ذلك إلى: (باشة، 2018، ص 133).

عامل الاستعمار: حيث لم يقدّر العقل العربي بإحداث القطيعة مع البحوث السوسiolوجية الكولونيالية التي ورثتها المجتمعات العربية بعد الاستقلال، وإنما بقي في اتصال معها عن طريق اعتمادها كمراجع في التدريس و الترجمة، دون أن ننسى تأثير الجيل الأول، وهو ما يفسر حضور النظريات السوسiolوجية الغربية: الفرنسية (الكوميتية و الدوركايمية) في بحوث دول المغرب العربي، وبذلك جاءت البنائية الوظيفية يقول مهور باشا " الأكثر سيطرة في البحوث العربية. والانجلوساكسونية (الماركسية و الفيريية) في بحوث المشرق العربي." (باشة، 2018، ص 133).

طبيعة التكوين اللغوي الأحادي للأجيال الجديدة في السوسiolوجيا: مثلاً في الجزائر لا يتحكم أغلب الباحثين إلا في اللغة العربية، إضافة على عدم حصولهم على تكوين في البلدان الغربية كما فعل الجيل السابق، ومن ثم كان تعرفهم على النظرية السوسiolوجية إلا من خلال الترجمات الحرفية التي قام بها رواد علم الاجتماع في مصر خاصة، لانعدام مراجع تتعلق بذلك في الجزائر. فضلاً عن ذلك يعتمد الباحث العربي في اتصاله بالنظريات السوسiolوجية الغربية بعملية الترجمة لها، ولا يتصل بمصادرها الأصلية، فهو لا يتصل بكتابات ماركس حول نظرية الصراع الطبقي ولا بكتابات دوركايم حول النظرية البنائية، وإنما بكتابات عربية ترجمتها، ما يؤثر على عملية استعارتها، ذلك أن الكتب التي تناولت النظريات السوسiolوجية الغربية تأتي حاملة لكثير من التناقضات في طرحها، وتعكس عملية التأريخ للنظرية أكثر من عملية التحليل المعرفي والمنهجي للنظرية السوسiolوجية، ولا تسعى إلى الكشف عن مضامينها المعرفية، وطبيعة السياقات التاريخية التي أنتجتها" (باشة، 2018، ص 133).

طبيعة النظام السياسي الذي حكم المجتمعات العربية ما بين 60 و 70 (الاشتراكية)، حيث ازدهرت كثيراً النظرية الماركسية في البحوث الاجتماعية. (باشة، 2018، ص 133).

وتأسيساً على ما سبق، نستنتج الآتي: يعتمد العرب في استعارتهم للنظريات الغربية على عملية إسقاط ميكانيكي لها على الواقع العربي، فهم يتبنونها جاهزة دون عملية نقد لمفاهيمها ومقولاتها المعرفية والمنهجية، و يحاولون إعادة الانسجام بين معطيات الواقع ومعطياتها.

3. إجراءات التوظيف العملي للنظريات السوسiolوجية الغربية في البحوث العربية:

3.1 إجراءات جمع البيانات الميدانية:

يقترن توظيف النظرية في البحث بفكرة أساسية مفادها أن الهدف منه (أي البحث) هو إنتاج أفكار دقيقة، وتطوير تفسيرات للظاهرة المدروسة، وفي هذا السياق يقول ديرك لايدر " إن تأثير النظرية على

الاعتبارات العملية للبحث هي النقطة التي لا يقدرها علماء النظرية... ولا شك أن كلا من النظرية والبحث الإمبريقي سوف يفيد من التعاون والحوار المتبادل بينهما. فمن ناحية سوف تصبح النظرية أكثر قوة وصلابة، وتتعزيز قدرتها التفسيرية عموماً، لأن فروضها ومسلماتها وقضاياها ستصبح أكثر قابلية للقياس الدقيق في ضوء الشواهد الإمبريقية، ومن ناحية أخرى، يستفيد البحث الإمبريقي من الأشكال الدقيقة في التحليل والتفسير، الأمر الذي سوف يعزز إمكانية التعميم والتطبيق" (لايدر. تر السمرى، 1998، ص32).

ونذكر أن هناك الكثير من التعميمات حول علاقة الباحث العربي بالنظرية صدرت عن باحثين عرب أنفسهم، وتكررت في كتاباتهم، أمثال محمد عزت حجازي الذي يؤكد أن هناك "...غياب التنظير بل والتفسير، في حالات كثيرة، وفقره أو قصوره في معظم الحالات التي يوجد فيها. والاستثناءات قليلة". (حجازي، 1989، ص28)

ولكي نبحت في هذه المسألة، ونفهم بمزيد من الوضوح كيف ينتقل الباحث العربي من النظرية إلى البيانات، يكون من المفيد أن نتوقف عند : كيفية تعامل الباحث السوسيولوجي العربي مع النظرية خلال عملية تنفيذ البحث.

فمن حيث أسلوب اختيار عينة البحث: نتساءل هل هي (أي العينة التي يختارها الباحث العربي) مستمدة من المحددات المعرفية للنظرية؟ بمعنى أدق هل هي على نحو متوافق مع أفكار النظرية أم على نحو مخالف لها؟، فإذا حدث وأن مقولات النظرية أخضعها الباحث العربي للنقد السوسيولوجي عن طريق الاستخدام الواقعي لها عبر خصائص العينة، هنا تصبح مفاهيم النظرية وأفكارها عبارة عن مكونات تحليلية . وهو الأمر الذي يغيب في بحوثنا السوسيولوجية، ويمكن تفسيره في ضوء ما قاله الصادق الحمامي في مقاله عن وضع البحوث العربية في مجال الإعلام والاتصال: "إن الإفراط في البحوث التجريبية الميدانية وترك البحوث النظرية الأساسية، جعل عددا من الباحثين العرب لا يقبلون أن معاينة ظاهرة الاتصال وتحليلها وفهمها تقتضي منهم يقرروا باختياراتهم الفكرية... بل أكثر من ذلك أن يقرروا بنظرتهم إلى ظاهرة الاتصال كقضية مجتمع" (تقرير تنمية المرأة العربية الثالث، 2006، ص ص 122-123).

وعن توظيف التقنية المناسبة: بين بحث تحليلي قام به محمد بامية أن:

ما يقارب 50% من البحوث المنجزة توضح التقنية المنهجية المستخدمة: فمن أصل 732 مقالة مدروسة نجد 366 فقط أوضحت التقنيات المستعملة فيها. (بامية، كما أشار الهراس، 2015، ص61)

يولي الباحثون العرب أهمية للاستبيان مقابل ضعف للأدوات المنهجية الأخرى كالملاحظة و المقابلة (الهراس، 2015، ص 62)، وهو ما يتضح من خلال الجدول الآتي:

الجدول رقم (02): التقنيات المنهجية المعتمدة في البحوث العربية (انطلاقاً من دراسة تحليلية لـ 732 مقالة).

التقنيات المنهجية المعتمدة في الدوريات	%
تحليل إحصاءات	26,6
الاستبيان	21,5
المقياس	10,6
الاختبار	8,4
الملاحظة	7,3
تحليل مضمون	7,3
المقابلة	6,6
المقارنة	2,6
التحليل التاريخي	2,2
تحليل الوثائق	1,8
دراسة حالة	1,5
تحليل الصور	1,1
منهجيات أخرى	1,8

المصدر: بامية نقلا عن الهراس، 2015، ص ص (61-62).

غالبية البحوث يستخدم فيها تقنية واحدة (بنسبة 37% بناء على دراسة 366 مقالة) (الهراس، 2015، ص 12).

بالنسبة للتثليث (ما يعني الجمع بين تقنيات المنهجية في البحث الواحد) تم إحصاء نحو 12,56% بحثاً. (الهراس. 2015. ص 23).

وفي ذات السياق كان قد أكد طيب تيزيني ان تصميم الباحث العربي البحث لا يراعي فيها مدى تلاؤمها مع موضوع البحث وأهدافه، ثم يستطرد الباحث في عرض جداول طولية وعرضية ونسب مئوية للبيانات، و ينتهي الأمر يقول تيزيني عند الحد الذي أجتزئت فيه بعض البيانات و نزعنت من سياقها" (عبد المعطي، 1998، ص 189)، و يضيف " ونظرا لأن الاستمارة في تصميمها لم تعتمد على إطار نظري واضح ومحدد، فالباحث يصطنع بنودا هي من صنعه، و يصوغ أسئلة يحاصر بها المبحوث ليجيب

إجابات يريدّها الباحث إما بنعم أو لا ، أو يحدد له إجابات مسبقة، فيصير الموقف مفتعلا و يصل بذلك إلى نتائج من نفس النوع، و يزعم أن هذا هو المنهج في البحث السوسولوجي". (عبد المعطي، 1998، ص189). ففي قراءة لبحث "فهد سلطان السلطان" عن "، اتجاهات الشباب الذكور نحو العمل التطوعي: دراسة تطبيقية على جامعة الملك سعود"، لا نجده معتمدا على تصور نظري في بناء دليله العملي (الاستمارة)، وهو ما أوضحه بقوله "بعد اطلاع الباحث على الدراسات السابقة قام بتطوير استبانة مكونة من خمسة محاور من أجل جمع المعلومات" (السلطان، 2009، ص11).

2.3 إجراءات تحليل البيانات الميدانية:

في هذا الجانب تطرح البحوث السوسولوجية العربية عددا من الإشكالات هي:

على مستوى العلاقة بين المفهوم النظري والمؤشرات الميدانية: إن تحقيق الارتباط بين المعرفة النظرية والظروف العملية الميدانية والمجال المكاني للبحث من أساسيات البحث في السوسولوجيا وهي مهمة الباحث الذي يقوم بتجسيد المفاهيم النظرية ميدانيا ما يكسب المفهوم دلالة إمبيريقية ، فينقلها إلى مؤشرات واقعية. حيث أن ذلك يؤثر على أنواع الأسئلة التي يطرحها عن الموضوع، فإذا كان مثلا المفهوم النظري للباحث هو الفعل العقلاني انطلاقا من نظرية ماكس فيبر عن الفعل الاجتماعي، التي يوظفها في بحثه في موضوع "الاختيار الدراسي"، فإن الباحث يطرح أسئلة يركز فيها في هذا الصدد على دوافع الاختيار، وهذه العملية مازالت تطرح إشكالا بالنسبة للسوسولوجيا في الوطن العربي، وحسب الباحثين أسباب ذلك عملية الضبط، بسبب الاقتصار على أدوات محدودة الكفاءة والفاعلية (غالبا الاستبيان)، الطريقة التي يتم بها صياغة مشكلة البحث والتصميم المنهجي، والنتيجة هي التوصل إلى نتائج لا تلامس مشكلات المواطن العربي والقضايا العربية.

على مستوى معالجة البيانات: في هذا الجانب أوضحت نادية أبو زهرة في سياق تحليلها لكتابات أنثربولوجية عربية، أن أبرز ما يلاحظ عليها هو فقدانها الصلة بين التنظيم والعمل الميداني والاهتمام الزائد بالوصف والهروب من التحليل والتفسير " (عبد المعطي، 1998، ص189)، من جهته اعتبر محمد الرميحي: أن دراسات التغير الاجتماعي كثيرا ما تكتفي بدراسة مظاهر السلوك والعلاقات دون سبر غور دوافع السلوك ومحدداته، ما يعني أن البحوث تهتم بظاهر الظاهرة دون الاهتمام بمضمونها" (عبد المعطي، 1998، ص190).

3. محاولات عربية لتجاوز النظرية السوسولوجية الغربية كإطار مرجعي للممارسة البحثية العربية:

سعى علماء السوسولوجيا العرب خلال السنوات الأخيرة إلى القيام بالعديد من المحاولات الفكرية التي تركزت أساسا على نقد السوسولوجيا الغربية، باتجاهها البنائي الوظيفي والماركسي، لكن ما لوحظ على

إسهاماتهم النقدية لها هو إغفالهم عن تقديم محاولات علمية نقدية لواقع المجتمع العربي بتركيبته الثقافية وأبعاده التاريخية و الجغرافية، على اعتبار أن خصوصية المجتمع العربي تختلف عن خصوصية المجتمع الغربي. ما أدى إلى وجود هوة بين أفكارهم النظرية وما يقومون به من أبحاث ميدانية تخص واقع المجتمع العربي، وهو ما جعل إسهاماتهم بنوعها النظرية والتطبيقية هامشية لأنها لم ترق إلى ذلك المستوى من التنظير الذي بإمكانه تحليل وتفسير المشكلات الاجتماعية مثل البطالة والفقر والانحراف، ما طرح أزمة على مستوى السوسيولوجيا في الوطن العربي، الأمر الذي تم تبريره حسب عبد الباسط عبد المعطي بـ:

ـحادثة السوسيولوجيا في الوطن العربي.

ـمشكل العقود التي تفرض من الجهات الرسمية على الإجراء البحثي.

(عبد المعطي، 1998، ص186).

وأيا كانت أسباب أزمة السوسيولوجيا في الوطن العربي، فالملاحظ أن السوسيولوجيا العربية نشأت بعيدة عن واقع المجتمعات العربية، ذلك أنه لم تهتم بالمشكلات التي تعاني منها هذه المجتمعات، حتى ولو كانت هناك بحوث فهي قليلة جدا، فضلا عن كونها بعيدة عن واقع المجتمعات العربي لاعتماد باحثيها على النظرية السوسيولوجية الغربية، ما أنتج دراسات مغتربة عن الواقع الاجتماعي العربي. الأمر الذي دفع الكثيرين إلى اعتبار هوية السوسيولوجيا ليست عربية لأنها لم تمس قضايا المجتمعية الجوهرية، وأن اهتمامات السوسيولوجيين العرب مازالت هي نفسها اهتمامات الغرب.

ويكفي أن نراجع وقائع الندوات والمؤتمرات التي نوقشت فيها المواضيع البحثية السوسيولوجية لنرى مدى الاغتراب الذي يعاني منه هذا العلم عندنا حيث يوجد اللاتصال بين التراث النظري والواقع البحثي (العملي)، و انحياز السوسيولوجيين العرب إلى التراث النظري الغربي خاصة من حيث:

ـسيادة الوضعية كأساس منهجي لمعظم البحوث السوسيولوجيا العربية.

ـتبني أكثر للاتجاه البنائي الوظيفي في النظرية الغربية الذي لا يعبر عن حقيقة الواقع المعيش في هذه المجتمعات.

ـالانشغال بالمفاهيم التحليلية الغربية مثل النسق، التوازن، التكامل التكيف، والاندماج والاستقرار.

وقد برزت محاولات جماعية من خلال عقد ندوات وملتقيات علمية عديدة لمناقشة هذا اللاتصال الذي تعانيه السوسيولوجيا في الوطن العربي، من جانب الموضوعات البحثية وأطر التحليل النظري المستخدمة و المنهج، مطالبة بقيام علم اجتماع عربي، من هذه الندوات نذكر:

— النهوض بعلم الاجتماع في الوطن العربي (في الجزائر
(1977).

— تطوير العلوم الاجتماعية في الشرق الأوسط (في الكويت
(1978).

— نحو علم اجتماع عربي (أبو ظبي 1983).

— إشكالية العلوم الاجتماعية في الوطن العربي (القاهرة 1983).

— علم الاجتماع و قضايا الإنسان العربي (الكويت 1984).

— نحو علم اجتماع عربي (تونس 1985).

— مستقبل العلوم الاجتماعية في الوطن العربي (وهران 2012).

— الدراسات السوسيولوجية في الجامعات العربية بين الواقع
والمأمول (بسكرة 2015).

— أزمة العلوم الاجتماعية في العالم العربي (قطر 2019).

وأهم ما أسفرت هذه اللقاءات والمناقشات الآتي:

— ضرورة قيام سوسيولوجيا عربية نقدية.

— الاهتمام بتطويع الأساليب المنهجية عن طريق العمل الميداني، ما يعني اعتماد الأساليب المنهجية
الملائمة لبحث القضايا المجتمعية العربية.

— قيام علم اجتماع قومي.

4. خاتمة:

إن المتأمل للإنتاج البحثي السوسيولوجي في الوطن العربي، يجده ملاحقا لما أنتجه وينتجه الغرب (الإنتاج الأوروبي والأمريكي على حد سواء)، حيث لا توجد سوسيولوجيا متابعة للواقع العربي نظريا وتحليليا، ذلك أن منهجية النقل والترجمة، ظلت مهيمنة منذ تأسيس السوسيولوجيا في الوطن العربي، وحتى بعد انقضاء مرحلة النشأة والبدائية. وفي هذا الصدد اعتبر التقرير الذي أعده المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، أن ما أنتجته السوسيولوجيا في المجتمعات العربية الحديثة لم يسهم في تقدم ونهضة المجتمعات العربية، ولم يتعد نظريات واهية الصلة بمشكلات المجتمع الذي ينتمون إليه، وأوضح أنهم كانوا في أغلبهم وسطاء مترجمين ولم يكونوا علماء حقيقيين، مستثنيا القليل النادر (عبد المعطي، 1998، ص186). ويفترض أن الحديث عن التعامل غير العلمي والعملي لأطر التحليل السوسيولوجي

الغربي، يتطلب تغييرا في الآليات المعرفية المقاربة، واستحضار الوعي الاستمولوجي بأساسيات المعرفة العلمية عن طريق تفعيل عملية الاستيعاب النقدي للمرجعيات السوسيولوجية الغربية.

5. قائمة المراجع:

• المؤلفات

_عبد المعطي، عبد الباسط، (1998)، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، الكويت، عالم المعرفة.
_عزت حجازي، محمد، سالم، ساري، وآخرون، نحو علم اجتماع عربي: علم الاجتماع والمشكلات العربية الراهنة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
_ديرك، لايدر، (1998)، قضايا التنظير في البحث الاجتماعي، تر السمرى، عدلي، الجيزة، الإعلامية للنشر.

_سلطان، فهد، (2009)، اتجاهات الشباب الجامعي الذكور نحو العمل التطوعي: دراسة تطبيقية على جامعة الملك سعود، ب ذ ب، مكتب التربية لدول الخليج العربي.

_عدلي العبد، عاطف، عاطف العبد، نهى، (2007)، الرأي العام والفضائيات: دراسة في ترتيب الأولويات، القاهرة، دار الفكر العربي.

_خضر، عبد الفتاح، (1991)، أزمة البحث العلمي في العالم العربي، الرياض، مكتب صلاح الجيلان.

_هراس، مختار، (2015)، دوريات العلوم الاجتماعية العربية: مناهج، مداخل ومقاربات، المرصد العربي.

_تقرير تنمية المرأة العربية الثالث، (1995)، المرأة العربية والإعلام: دراسة تحليلية للبحوث الصادرة بين 1995-2005، قرطاج (تونس)، مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث كوثر.

• مواقع الانترنت:

_مهور باشا، عبد الحليم، (2018). علم الاجتماع في العالم العربي من النقد إلى التأسيس: نحو العمران الإسلامي. [https:// books.google.dz](https://books.google.dz) ، 2020/09/11.